Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اكتشافاً[٤٧] . وبذا ، من خلال تغيير النظرة إلى طبيعة الفعل الفني / الأدبي التي قام بها جبران ، يستطيع المرء أن يجمع من آراء الرجل ما يمكن أن يُشكّل رؤيةً أدبيةً متكاملة . إنَّ الفن / الأدب ، باعتباره اكتشافاً ، فإنّه يفرض ، كما يقول جبران ، قوالبه / لغته الخاصة المرتبطة بتكوينه الذاتي . إنّه ، بحسب جبران ، خطوة تنطلق من معلوم باتجاه مجهول . بيد أنّ هذا الفعل الاستكشافي لا يتوقّف ، مع جبران ، عند حدود الجمالية المجرّدة للاستكشاف ؛ فلا بدّ له من بعد عملي يتحقق من خلال إضافة تكون فاعلة . وهكذا ، وإن لم يعترض جبران على مبدأ الفن للفن ، فإنّه ظَلَّ يؤكّد على ضرورة وجود رسالة مضمونيّة لهذا الفن . وكأنّ الرجل ، في هذا التوجّه ، يطرح مفهوماً خاصاً لفكرة الالتزام في الفن : الفن جميل طالما هو عملي ، ولا بدّ لما هو عملي من أن يكون اكتشافي ؛ وعلى كل فعل اكتشافي أن يضيف إلى رؤية الإنسان[٤٨] .

لعلّه بالإمكان الذهاب إلى أنّ هذه المقولة عند جبران تُشكّل البنية التأسيسيّة لفكره الأدبي . فالشعر ، على سبيل المثال ، لا يعود عنده فعل تقليد للبنى السلفيّة باعتبارها النموذج الأعلى للكمال ، كما كان كثيرون من معاصريه وأسلافهم من المفكرين الأدبيين العرب يعتقدون . النماذج السلفيّة ، عند جبران ، هي تعابير صادقة وأصيلة عن الماضي ؛ إنها فعل اكتشاف في وقتها وفي بيئتها ؛ لكنها يجب أن لا تُسْتَعْمَلُ عائقاً في طريق ظهور الصادق والأصيل المعاصر . ولذا ، فجبران يقول إنه لو تسنى للخليل بن أحمد الفراهيدي أو للمتنبي أو لابن الفارض أن يعلموا أنَّ أعمالهم ـ التي باتت نماذج تحتذى ـ قد تعِيق تطوّر الفعل الشعري ، لكانوا مزّقوا كل إنتاجهم هذا[٤٩] . هكذا يمكن للمرء أن يفهم رؤية جبران للفعل الأدبي ، هذه الرؤية القائمة على الثورة ونشدان الكمال والجمال في الأدب ، وعلى رفض التقليد والتشويه والتقعُّر .

في مثال آخر ، من نموذج تكامل التفكير الأدبي عند جبران ، يمكن البحث في رؤية الرجل لوحدة المضمون والمبنى في العمل الأدبي . فكثير من مفكري الأدب العربي كانوا يعتقدون بانفصال ما بين المبنى والمعنى ، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان توازن معين في الفعل الأدبي إن كان لجهة الاهتمام